نظرة

في كتاب نزهة الانام في محاسن الشام

(تتمة ما سبق في الجزء الماضي)

ثم انتقل الى ارض (المزة واللوان) فعدّها من محاسن الشام وقال : ان حكماء اليونان لما رأوا الجانب الشمالي يصلح لزراعة الازهار ورأوا طيب ارض الجانب القبلي فاختاروها لغرس الاشجار (١٨٦) ثم ذكر المشمش وقال : انه في دمشق احد وعشرون صنفاً حموي . سندياني . ادلبي . عربيلي . خراساني . كافوري . بعلبكي . لقيس . لوزي . دغمشي . وزيري . كلابي . سلطاني . حازمي . ايدمري . سنيني . بردي . ملوح . فراط البخاتي . جلاجل القلوع (ص ١٨٧ و ١٨٨) اما نحن فلا نعرف اليوم من هذه الاصناف سوى الحموي واللقيس واليردي والايدمري والوزيري والسنديباني والكلابي . ثم ذكر القراصيا وقال : هي سبعة اصناف رشيدية بعلبكية . افرنجية . رومية . طعامية . بزرة . فيجية واحسنها البلدية المنسوبة لوادي مكرم وهو بين الربوة التي تحت صحن المزة . ويحمل منه الى السلطان بالديار المصرية (١٩٢) وعندي انه يقصد بالقراصيا هنا ما نسميه (الجانرك) اما القراصيا المعروفة اليوم فهي نادرة الوجود جداً في بساتين دمشق .

ثم ذكر الكمثري وقال هو باليونانية (الانجاص) وقال انه اصناف عثماني . عيلاني . خلاني . سمرقندي . صيني . ملكي . صقلاني . مغاربي ببرودي رحيبي ورمي قناديلي خنافيسي معنق دهوري عربي بعلبكي ماوردي عقرباني شتوي صيني سكري قهلبي (ص ١٩٥) ونحن لا نعرف اليوم من هذه الاصناف غير العثماني وصنفاً نسميه (ابا زبلة) وآخر نسميه (تاي) وآخر نسميه (بابيلي) نسبة الى قريتي تل منين وبابيلا

ثم ذكر التفاح وعدّد له اصنافاً وهي سكري . مسكي . فتحي . صيني . شتوي . بلدي . صيفي . قاسمي . فاطمي قحابي . فضي . حديثي . جناني . حرستاني . لبناني حلواني . دهشاوي . اخلاطي . بربري . نبطي . ماوردي . بطيخي . مجهول . وقال : عنه ان جسمه صديق الجسم وريحه صديق الروح (ص ٢٠١ — ٢٠٦)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا نعرف الآن من اصناف التفاح الا السكري والشتوي والجناني والحامض واللفان وخدود البنات . ثم اتى على ذكر الدرّاقن وعدّد من اصنافه النيرباني والزهري والكلابي والختمي وهي معروفة عندنا وزاد عليها مما نجهلهُ الخواجكي والرصاصي والحمصي واللوزي والزبق واللقيس والصالحي والمظفري والمسافري والصوري ولحم الجمل والمجهول (٢٠٦ و٢٠٧) ثم ذكر الخوخ وقال : هو(الاجاص) يسميه اهل دمشق بالخوخ وقال : هو صنفان ابيض واسود (ص٢١٠)ثم قال :(البرقوق) نوع منه صغير لكنه اذا نضج حلا (ص ٢١١)

وبعد ان قال عن جميع هذه الاصناف :انها في (المزة واللوان) قال ان في المزة اعيان الناس وهي ذات دور وسيعة الأفنية مليحة البناء صحيحة الهواء ومنها يتوصل الى قرية (كفرسوسة) وقال ان فيها معصرة واشجار زيتون من عهد عيسى عليه السلام وضريح الولي الشيخ سعيد (ص٢١٢-٢١٤٠) ثم قال ومنها يتوصل الى (ارض المزاز والشويكة) التي ينسب اليها الرمان الشويكي وعدّد للرمان اصنافاً وهي الشويكي والبردسي والماوردسي والمليسي والكوفي والبرجقي والسجاقي والشويخي والمصرسي والسلطاني والمحجر والمسطوف والتدمرسي واللقيط والحصوي والطقاطقي والقطي والمشبه والحامض واللفان ورأس البغل والمجهول (ص٢١٤) واكثر هذه الاصناف مجهولة عندنا اليوم . ثم ذكر داريا وقال هي قبلي الشويكة واليها ينسب البطيخ الداراني (ص٢١٩و٢٢٠) والمعروف الآن انها مشهورة بالعنب الزيني لا بالبطيخ. وبعد ان سمى الاخضر من البطيخ الهندسي قال هو اصناف داراني مرجي ودوماني وحبشي وقبلي وعواميدسي وهو المسمى النموس . ثم قال من محاسن الشام قرية(بلدا) وهي من القبلة الى شرقي قرية عربيل وما بين هاتين القريتين من سائر القرى معروف بزراعة كروم (العنب) ثم عدّد له اصنافاً وهي بلدسي وخناصرسي وعاصمي وزيني وبيتموني وقناديلي وافرنجي ومكاحيلي وبيض الحمام وحلواني وبوارشي وجبلي وقصيف وابزاز الكلبة وقشليش وكوتاني وعبيدسي وشحماني وجوزاني ودراقني ومخ العصفور وعرايشي وردمي وشبيهي ونبطاني وعصبرسي ورناطي وورق الطير وسماقي وحرصي ومجزع وشمراوسي ودربلي وقارسي وعلوي وعيوني ومورق ومشمر ومسمط ومرحض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومحضر ومقوس وحماوي وتفاحي ورهباني وزردي ومبرد ومخصل ومغاربي وشحمة القرط (ص٢٢٣و٢٢٤) وبعد ان اطال في وصف انواع العنب شعراً جاء على ذكر اللوز. وقال انه اصناف منهُ الجبلي والقسطامي والعريلي والعقابي والبندقي والشحمي (ص٢٤٥) ولا ادري هل يريد به اللوز الحقيقي — وهو نادر الوجود جداً في دمشق — او النوع المعروف عندنا بالعقابية التي لم يأتِ لها ذكر في الكتاب. ثم قال: ومن محاسن الشام (مرج الشيخ رسلان) وهو يشتمل على انهار واشجار ونواعير وغالب اراضيه تزرع بالخشخاش. ثم اتى على ذكر (الوادي التحتاني) وقال هو شرقي (مرج الشيخ) وفيه غياض ورياض يكثر فيها (السفرجل) وعدد منه اصنافاً منها البرزي والقبطي والسالمي والصيني والرقي والعباسي والتفاحي وابو فروه ومجدول ونحن لا نعرف من هذه الاصناف شيئاً وانما نعرف الهاماني والزبداني فحسب. قال: وبهذا الوادي (غيضة السلطان) وحورها متضام الى بعضه لا يستطيع الانسان الدخول بينه ثم قال: وهناك منتزه يقال له (ست الشام) وهو مربعة خضراء ما بين الغياض وفيها عين تجري بماء بارد عذب (ص٢٥٤) ثم قال: ومن محاسن الشام (المرج) واوله منتهى الوادي التحتاني وآخره البحرة (١) ويقال انه يشتمل على ثلاثمائة وستين قرية تزرع الغلة والحبوب وفي الغالب الشعير (٢٥٥) وفي هذا القول مبالغة ظاهرة كما لا يخفى.

ثم ذكر قرية (ضمير) ونسب اليها البطيخ الاصفر وقال انه اصناف منها السمرقندي والسلطاني والشمام (ص٢٥٦) والمعلوم الآن ان ضمير مشهورة بزرع الشعير ليس الأ والبطيخ الاصفر انما هو محصول دوما وليس للشمام من أثر في ضواحي دمشق وقراها الا ما جلب بذرهُ مؤخراً من ازمير والاناضول وهو لا يزال قليلاً

ثم قال: ومن محاسن الشام (برزة) وهي من منتزهات دمشق التي يرحل اليها وهي شمال ضمير وفيها مقام لابراهيم الخليل عليه السلام واليها ينسب التين البرزي ثم قال والتين اصناف مزي وبرزي وماسوني وروحي وبعلبكي وكعب الغزال وغريب

(١) البحرة شرقي مرج دمشق تنصب فيها فضلات مياه انهارها وهي واسعة جداً حولها آجام ومستنقعات تفسد هواء ما يجاورها من القرى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وطيفور وشتوي وجبلي وحضيراني وملكي وعسيلي ومجهول — ورق الطير (ص ٢٦١) اما نحن فلا نعهد ان في برزة تيناً مشهوراً ويزرع فيها هذه الايام (الانيسون) ولا نعلم من اصناف التين في دمشق الا البعلي والملكي والسوادي

ثم قال ومن محاسن الشام (القابون) وهي حسنة الماء والهواء وهي قابونان فوقاني وتحتاني وبهما ارض مصطبة السلطان وهي مصطبة في قدر فدان يصعد اليها في نيف وعشرين درجة من جهاتها الاربع وفيها قصر حسن البناء ينزل به الملوك والسلاطين عند توجههم الى الاسفار والى هذا القابون ينسب الخيار (ص ٢٦٤ و ٢٦٥) اما نحن فلا نعلم انه يوجد سوى قرية واحدة اسمها القابون وليس لها ماء خاص بل يأتيها نهر يزيد في بعض ايام الاسبوع وهو غير نظيف في الغالب وهي كثيرة الاشجار من الزيتون والمشمش وغيرهما وتزرع فيها جميع انواع البقول والخضراوات والحبوب وليس لخيارها ميزة على سواه بالكثرة بل بالنفاسة اما المصطبة المحكي عنها في الكتاب فلا اثر لها ولا عين ثم ذكر (القثاء) وبعد ان قال ان القثاء والخيار والقرع من طعام المحرورين ويضرُّ المبرودين اتى ببيتين لابن المعتز في القثاء غاية في الابداع وهما :

انظر اليه انابيباً منضدة من الزبرجد خضراً ما لها ورقُ
اذا قلبت اسمه بانت محاسنه وصار مقلوبه اني بكم «اثقُ»

(ص ٢٦٧) ثم اتى على بيتين لابن خطيب داريا في الفقوس :

شبهت حين بدا الفقوس مبتهجاً على الرياض وحبٌّ فيه ماسوري
مخازن من لجين لف ظاهرها بسندسٍ حشوها حبات كافور

(ص ٢٦٨) ثم قال ومن محاسن الشام (بيت لهيا والعنابة) ومن الناس من يقول — بيت الآلهة — وهو مكان مبارك يزار ثم ذكر عن لسان بعض المؤرخين رواية طويلة ملخصها ان آدم وحواء وولديهما هابيل وقابيل كانوا يسكنون (بيت لهيا) وغيرها وان الصخرة التي رفع هابيل كبشه قرباناً عليها هي في الجامع الاموي عند باب جيرون بالقرب من حاصل الزيت وهي صخرة سوداء مقرورة (ص ٢٦٨ — ٢٧٠) ثم عاد مستطرداً الى (العنابة) فقال هي محلة الآن تشتمل على دور وقصور وعلّل سبب تسميتها بالعنابة بان كاهناً من الروم كان يتعبد في صومعة هناك فمرض مرضاً عضالاً في حين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان احد تجار الروم ضيفاً عنده وفي جملة متجره خمسة احمال عنّاب فاخذ الكاهن يتناول منه فشفي فزرع حول صومعته عنّاباً بقي منه عند الفتح الاسلامي واحدة منها سميت بها تلك المحلة (ص ٢٧٠ و ٢٧١) والذي نعلمه الآن ان العنابة تطلق على جهة باب توما ويحسبون هواءها افضل من سواه . قال ومن محاسن الشام ارض (سطرا ومقرى) وهما من الاراضي الطيبة الفيحاء واستشهد عليهما ببيتين لابن خطيب داريا وهما :

خليليّ ان وافيتما الشام بكرةً وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقرأا عني كتاباً كتبته بدمعي لكم (مقرا) ولا تنسيا (سطرا)

قال وبينهما منتزه يسمى (اليلك) يجتمع فيه الناس ايام زهر السفرجل ويسيبون الماء تحت اشجاره ويوقدون في ظلمة الشهر قشور البيض ويطلقونها في الماء ويعلقون قشور النارنج موقدة في الاشجار ويضربون الخيام في بستان الحاجب ويقطعون فيه اوقاتاً باللذة والانشراح تعجز الواصفين وقد اورد اشعاراً كثيرة في وصف محاسن (اليلك) منها قول ابن قرناص :

و(يلكٍ) قد بدت فيه معانٍ تطيب بها الندامى والمدامُ
يسامرك النسيم اذا تغنت حمائمه ويسقيك الغمامُ

وقول بدر الدين الازهري :

لله من يلكٍ بديع حسنهُ قد ضم شملي بالذي اهواهُ
ما زال يفرش لي بساطاً اخضراً فرعى الاله رياضه وكلاه

(ص ٢٧٣ — ٢٧٥) ولم يذكر لنا موقع هذه المتنزهات لنعلم هل هي باقية الآن بغير اسمائها ام طمست وقام مقام اشجارها البناء . ثم ذكر من محاسن الشام اراضي المزارع وقال ان من خصوصياتها (الهليون) وعدّد له جملة منافع (والطرخون) وقال هو صنفان بابلي ورومي (٢٧٨ و ٢٧٩) (والكرنب) وقال هو نبطي وخوزي (٢٨ و ٢٨١) و(القنبيط) (والباذنجان) وقال منه الاحمر الرفيع والابيض القليل البزر الرقيق القشر (ص ٢٨٥) و(الكراث) وعدد له اصنافاً والجزر والزعتر والفجل (ص ٢٨٧ — ٢٩١) و(النمنم) و(الرشاد) و(البقلة الحمقاء) و (الاسبانخ والكرفس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والسلق الاحمر والابيض والهندبا والبصل والثوم والكزبرة والكراويا والكمون والقرع والكمأة) وقال انها من خواص دمشق وقال عنهـا انها اصل مستدير لا ورق له ولا ساق لونه الى الحمرة يؤخذ في الربيع ويؤكل (ص٢٩٤ — ٣٠٠) واللوبياء والارز ولا عهد لنا الآن بزراعة الارز في دمشق والباقلاء والذرة والقرطم والعدس والسمسم والبزرقطونا والترمس والحمص والحلبة والخس والكرفس (ص٣٠٠ — ٣٠٠)

ثم قال ومن محاسن الشام ارض (الميطور والسيلون) وهما من منتزهاتهـا ويقال اول من غرس بها غراساً بيده سليمان بن عبد الملك الاموي (ص٣١٠ و٣١١) ولم يعين لها موقعاً — والذي نعرفه ان بستان سيلون مطل على الربوة من بساتين المزة — وذكر من اشجارها البندق والفستق وفيه نظر (٣١٣ و٣١٤) . ثم قال ومن محاسن الشام (السهم) وهو متصل بارض الصالحية . وقال في تعريفه انه درب ما بين دور وقصور وفاكهة وزهور ومياه تجري بهدير كالبحور (٣١٧) وكثيراً ما وصف السهم الشعراء فاحسنوا .

ثم قال ومن محاسن الشام ارض (بضار وبهران) وهما معدن التوت ثم عدد للتوت اصنافاً وهي وهبي ومحسني وبندقي وعجمي مخضب وقرشي وحرّاني وشامي وهو الاسود (ص٣١٨) وغاية ما يقال عندنا اليوم توت ابيض اء توت هزاز وتوت احمر وتوت شامي وهو الاسود ولا نعلم ان له ارضاً خاصة تسمى (بضار وبهران) .

ثم قال ومن محاسن الشام (الصالحية) وقال هي قصبة دون ميل تمشي فيها بين ترب ومدارس ببناء جميل استولى عليها المباشرون والنظار فازالوا منها العين ولم يبق سوى الآثار . وبعد ان ذكر كيف تلاعبت بهـا ايدي الطامعين نخر بوهـا واستولوا على احباسها واوقافها قال «فياشوقاه لحسن (الجركسية) وحلاوة (الركنيه) ويالهفاه على (جامع الافرم) و(الناصرية) لقد تغيرت تلك المعاهـد وغلقت ابواب تلك المساجد والمعابد . انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء الجسيم (٣٢٠ و٣٢١) .

قال وفي الصالحية نهران يجريان وهما ثورا ويزيد وكم عليهما من غرفة وقصر مشيد .

ثم قال ان شمس الدين الصائغ الحنفي لمـا قدم من القاهرة الى دمشق نزل في الجسر الابيض عند الامير مجير الدين بن تميم وجلس بجانب نهر ثورا وهو يمر في تلك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدار فرأى الفواكه تمر على وجه الماء فأخذ يأكل منها ما استطاب ثم قال لمضيفه افلا تستغنون بهذا النهر عن شراء الفاكهة بما يفيض من فضله فاجابه مرتجلاً :

يقول وقد رأى ثورا خليلي يفيض بطيّب الثمرات فيضا
ايكفيكم فلا تشرون شيئاً فقلت له نعم ونبيع ايضا

(ص٤٢٢) قال واهل الصالحية يهادون سكان المدينة بالبلح والأترج والكباد لنموه وحسنه عندهم والذي نعلمه ان لا اثر للبلح الآن في الصالحية وان شجر الأترج والكباد كثير مستفيض في دور سكان دمشق وهم قد يبيعون ما يفيض من حاجتهم .

ثم اخذ يصف بلح دمشق واترجها وكبادها ونارنجها وليمونها وما ورد من الاشعار في وصفها (ص٣٢٣—٣٣٩) الى ان عاد الى القول :

ومن محاسن الشام (جبل قاسيون) فان الصالحية في سفحه وتحت ذراه وهو جبل مبارك به آثار الانبياء والصحابة والاولياء وبه (الكهف) ويقال انه كهف اصحاب القصة وبه (مغارة الدم) ويقال ان كل ليلة جمعة يرى بها قطرة دم وهناك محاريب الاربعين اي محل تعبدهم ومن ازهار قاسيون القرنفل والخزام والشيح وفيه السماق وبه تدبغ الجلود والزعرور والزيزفون والخرنوب (ص٣٤٠ — ٣٤٤)

ثم قال ومن محاسن الشام قرية (منين) وهي خضرة نضرة شمالي جبل قاسيون وفيها مزار الشيخ جندل والشيخ ابو الرجال ويقال ان الشيخ جندل لا يقبل من ينام عنده فاذا نام انسان حول الضريح يفتح عينيه فيجد نفسه خارج المزار ثم قال انه ينسب اليها الجوز المنيني لرقة قشره وبياض قلبه وهو اصناف مغاربي وفرني ومنيني وجبلي وبستاني (٣٤٥) قال وبها الثلج الذي يقيم من العام الى القابل يحمل منه ثلج السلطان الى القاهرة وما يستعمل بدمشق الجميع منها يخزنونه في حواصل معدة له (ص٣٤٧) وقال ان الرباس ينبت في الثلج (ص٣٤٦) وقال نقلاً عن ابن الجوزي انه شبيه باضلاع الخس . وفيه خشونة وطعمه حلو بحموضة وعفوصة ولا يطلع الا في الثلج (ص٣٤٩) ومن لطائف ابن عباد في الثلج :

اقبل الثلج فانبسط للسرور ويشرب الصغير بعد الكبير
فكأن السماء صاهرت الار — ض وصار الثار من كافور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال عن ابن البيطار ان البرباريس ينبت ايضاً في جبال الثلج وهو عجمي واسمه عندهم الزرشك ومنه اندلسي ، رومي وشامي واحسنه السبك بحلب من جبل ببروت وجبل بعلبك (٣٥٠) ثم ذكر الصنوبر والموز وقصب السكر وهذه الاصناف غير موجودة الان في بلاد الشام ثم ذكر غوطة دمشق ، قال عن لسان كعب الاحبار انها بستان الله في ارضه) (٣٥٦)

ثم ذكر صناعات الشام فعدد منها النسيج على انواع نقوشه ورسومه وصناعة الصاغة والقرطاس والدباغة والسلاح والوشي والدهان والنحاس والجفان والقبافيب (ص٣٦٢ و٣٦٣) ولم يذكر الترصيع بالصدف ولا عمل القيشاني ولا التذهيب بالنقش المعروف بالعجمي ولا العبي والكوافي والشنابر والاحذية والجوهرية الى غير ذلك من صناعات دمشق التي لا تزال آثارها ظاهرة فيها حتى اليوم

ثم ذكر من دفن فيها من الانبياء الصحابة والاولياء في فصل طويل علق عليه الناشر شرحاً تدارك فيه ما فات المؤلف من اسماء مدفوني دمشق من الاعلام وكان ذلك مسك الختام .

سليم عنحوري
العضو في المجمع العلمي العربي